+ آباؤنا القدّيسون

البارّ سمعان العموديّ الجديد

عندما نقرأ بعض سير القدّيسين نستغرب طرق عيشهم، كأن يبني قدّيس لنفسه عموداً كمنسك له ويحيا عليه. من كان بعيداً عن الإيمان يرفض أساليب كهذه متسائلاً: ألا يستطيع أن يحيا في مكان آخر وبأسلوب آخر؟ الإجابة ببساطة هي النّفي لأنّ الّذي يحيا مع اللّه يختلف عمّن كان بعيداً عنه. فمن أحبّ اللّه وتذوّق فرح الملكوت ونور القداسة والطّهارة والعفّة وسما عن مادّيّته، يفرح بأن يسجن نفسه في مغارة مثلاً متنسّكاً عائشاً مع اللّه وحده، أو أن يبني لنفسه عموداً يبعده ولو مكانيّاً عن محيطه ليتفرّغ للنّسك والصّلاة.

ربّ سائل يقول: أليس على مثل هذا الإنسان أن يكون في العالم لإفادته من خبرته الإيمانيّة دون العيش بأنانيّة؟ الجواب بسيط جدّاً: قال الرّبّ: " أنتم نور العالم لا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الّذين في البيت." (متى٥: ١٤). هذا يعني أنّه مهما حاول الإنسان المتقدّس بالنّعمة الهروب من العالم لا بدّ أن يكشف اللّه نوره من خلاله لتعرف المسكونة به، لتأتي إليه للإفادة الرّوحيّة حتّى ولو كان في عمق أعماق الصّحراء. وأخبار القدّيسين في هذا المجال كثيرة جدّاً. فمن عشق اللّه عشق الحياة معه، كما يطلب الحبيب أن يكون دائماً مع محبوبه، هكذا من كان اللّه حبيبه. فلا يُدين البعيدَ عن اللّه من كان قريباً منه لأن لكلّ إنسان موهبة إلهيّة غرسها اللّه في كيانه والفرق بين إنسان وآخر أنّ هناك من ثمّر موهبته والآخر طمرها. (مثل الوزنات مت٢٥: ١٤-٣٠).

هكذا هي حال أبينا البارّ سمعان الجديد الّذي ولد في مدينة انطاكية في أواسط القرن السّادس. كانت أمّه مرتا من النّساء اللّواتي أحببن الرّبّ بصدق وأمانة، فكانت مثالاً للأمّ المسيحيّة. وعلى هذا الإيمان تربّى سمعان.

توجّه في ريعان شبابه نحو دير قريب من انطاكية في جوار جبل يدعى الجبل العجيب، ونسك هناك وتتلمذ على يد القدّيس يوحنا العموديّ وأخذ منه طرق الكمال. في بداية حياته الرّوحيّة عاش ضمن أسوار الدّير في منسك قائم على عمود. وبعد فترة من الجهاد قبله يوحنا ليعيش معه على عموده. فعاشا معاً سنين طويلة في حياة جهاد وقداسة أساسها الصّمت والتّواضع والصّوم وتلاوة المزامير بصلاة لا تنقطع.

وبعد جهاد طويل، متتلمذاً على يد القدّيس يوحنا العموديّ، اتّخذ سمعان لنفسه عموداً خارج أسوار الدّير عالياً ومنفرداً. فكان ملاكاً أرضيّاً وإنسان سماويّاً يقتات من حشائش الجبل ولا يشرب من الماء إلاّ القليل. وقد تتلمذ على يده كثير من الرّهبان ليسمعوا إرشاده. كما علم النّاس به وصاروا يأتون إليه من كلّ البلاد حاملين

+ آباؤنا القدّيسون

معهم أمراضهم الجسديّة والرّوحيّة. فكان لهم أباً ومعيناً وشافياً. وقد ترك كتابات كثـــيرة خصوصـــاً في الأمـــور الرّوحيّة لإرشاد النّفوس العطشى إلى الملكوت.

بقي سمعان ملازماً حياته الملائكيّة على العمود خمساً وأربعين سنة. رقد بعدها بالرّبّ سنة